

الرسائل والأطروحات الجامعية المغربية : 1956-2007 دراسة بيبليومترية

محمد الصغير جنجار

مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود

للدراستات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء

في إطار الاهتمام المتزايد الذي صارت تحظى به قضايا البحث العلمي والإنتاج الفكري الجامعي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية¹، وتكميلا للبحث المزدوج الذي أنجزه مؤخرا الأستاذ محمد الشرقاوي بشأن منظومة البحث الوطني في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، تقدم هذه المقالة عرضا بيبليومتريا لمحتويات قاعدة بيانات بيبليوغرافية أحدثت مؤخرا وخصصت لما أنتجه الطلبة الباحثون المغاربة من رسائل وأطروحات جامعية، منذ الاستقلال وحتى سنة 2007، سواء داخل المغرب أو خارجه².

1. الموضوع والمقاربة

إذا كان تقويم البحث العلمي في مجالات العلوم الحقة قد أصبح اليوم مبحثا قائما بذاته، له مناهجه وأهدافه ومعاييره، فإن تقويم الإنتاج العلمي عموما، والجامعي خصوصا، المتصل بمجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية، لا يزال يطرح مشكلات منهجية عويصة. بل إن أسس مثل هذا التقويم كثيرا ما تواجه باعتراضات، وأحيانا برفض قاطع من طرف العديد من الفاعلين في الحقول العلمية المذكورة.

ومع أن عملية تقويم الإنتاجات العلمية في هذه التخصصات لا تزال موضوع نقاش، فإن متطلبات وضع سياسات عمومية في مجال البحث العلمي على المستوى الوطني، والحاجة الميدانية إلى صياغة خطط في مجال التكوين الجامعي تتلاءم وحاجات المجتمع وتستجيب لضرورات تنويع العرض البيداغوجي، كلها أمور تقتضي التوفر على تحليل دقيق لمكونات ودينامية البحث في

مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية. كما أن إصلاح نظام الدكتوراه وتحسين جودة «التكوين بالبحث» يتطلبان معرفة شاملة بما تراكم من رصيد علمي، منذ نشأة الجامعة الوطنية، إن نحن أردنا إرساء مهمة تكوين أجيال جديدة من الأساتذة الباحثين على أسس مبتكرة.

ومن ثم، فإن إعداد أدوات بيبليوغرافية إحصائية بما أنتجه الطلبة-الباحثون المغاربة، يعد خطوة أولى على هذا المسار التقويمي. كما أن التحليل الكمي للمعطيات، واستقراء دينامية الإنتاج العلمي من رسائل وأطروحات، كفيل بأن يساهم في وضع خارطة لحقل التكوين-البحث تبرز معالم التخصصات التي تعيننا هنا. ثم إن البيانات الكمية الأولية التي توفرها المقاربة البيبليومترية تستمد فائدتها من كونها تثير الأسئلة، وتساعد على صياغة الإشكاليات والفرضيات التي تتصدى لها المقاربات النوعية، سواء منها العامة أو تلك المنصبة على حقل معرفي محدد.

وبما أن الدراسات الكمية للإنتاج المغربي من الرسائل والأطروحات في العلوم الاجتماعية والإنسانية هو مبحث قيد التشكل، وفي انتظار التوفر على مصادر معلومات أكثر تفصيلا (تضمن بالإضافة إلى المعطيات البيبليوغرافية إمكانية الولوج إلى النصوص)³، فإننا سنكتفي هنا بعرض وتحليل النتائج الأولية التي تقدمها لنا قاعدة بيانات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية بالدار البيضاء، وذلك باستجلاء السمات البارزة التي طبعت إنتاج المغاربة من الرسائل والأطروحات الجامعية خلال الخمسين سنة الأخيرة، والحقب الأساسية التي عرفها تطور هذا الإنتاج، والدينامية التخصصية واللغوية التي ميزته، وتفاعل الداخل والخارج في تكوين النخب الجامعية المغربية. كما سنحاول عقد بعض المقارنات، وطرح بعض التساؤلات التي تسمح بها مقارنة بيبليومترية لا تدعي تقويم محتويات الإنتاج موضوع التحليل، كما لا تناقش مناهجه ولا إشكالياته. غايتنا هو أن نستثمر المعطيات البيبليوغرافية المتوفرة حاليا، من أجل تحويل المشهد الحالي الذي قد يبدو متشظيا وغامضا، إلى واقع يتسم بحد أدنى من المقروئية ؛ واقع قابل للتقويم والترشيد والتوجيه من طرف الفاعلين المسؤولين على قطاع التكوين والبحث الجامعي.

2. الرسائل والأطروحات الجامعية : مصادر المعلومات

يعلم المتتبعون للحقل الجامعي الوطني أن المغرب لا يتوفر على سجل مركزي يحصي كل المعلومات المطلوبة عن الرسائل والأطروحات الجامعية المسجلة والمناقشة في مختلف مؤسسات التعليم العالي بالبلاد. وفي مقابل هذا النقص الواضح، تتوفر على مجموعة من مصادر المعلومات المفيدة، والتي تظل مع ذلك ناقصة من نواحي متعددة (انظر البيبليوغرافيا المثبتة في آخر هذه الدراسة).

وتتوزع هذه المصادر كالآتي :

- فهارس المؤسسات الجامعية المحلية : وحدها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط دأبت على تحيين قوائم الرسائل والأطروحات الجامعية التي تناقش في رحابها. أما باقي المؤسسات الجامعية المغربية، فهي إما لا تنشر قوائم الرسائل التي ينجزها طلبتها، أو تعد لوائح غير منتظمة تشوبها الكثير من النقائص، سواء في البيانات المتعلقة بالوصف البيبليوغرافي، أو الخلط الذي كثيرا ما يحصل بين الرسائل المسجلة وتلك التي نوقشت ونال أصحابها درجات وشهادات جامعية.

- الفهارس الخاصة التي تنجزها جمعيات أو أشخاص مثل «فهرس الأطروحات والرسائل» الذي أصدرته الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر سنة 1987، أو تلك التي أعدها الأستاذ عمر أفا وصدرت عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. أما الأول فكان شاملا لكل العلوم وأحصى ما أنجز إلى حدود سنة 1984، ولم يتجاوز حجم الرسائل والأطروحات المتصلة بالآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية التي ذكرها، الألف عنوان. أما فهارس الأستاذ عمر أفا، فتعتمد سجلات كليات الآداب بالمغرب بحيث تحصي الرسائل والأطروحات المسجلة والمناقشة.

- الفهارس الإلكترونية : مثل القرص المدمج الذي أعدته «وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومنهجياتها» بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسك - الدار البيضاء، وهو مصدر يرصد قرابة 4695 رسالة مسجلة ما بين 1962 و1996، نوقشت من بينها 1709 رسالة.

• فهرس الرسائل والأطروحات في الجامعات الأجنبية : ومنها المجلد الذي أعده معهد البحوث والدراسات حول العالم العربي الإسلامي (إيكس أون بروفانس) بخصوص الرسائل الجامعية المنجزة حول المغرب، ويضم وصفا ببليوغرافيا لـ 1441 رسالة نوقشت ما بين 1973 و1987، أغلبها من تأليف طلاب باحثين مغاربة. كما صدرت بفرنسا فهرس مختلفة بعضها يركز على تخصص دقيق، وبعضها الآخر يغطي مجالات واسعة. ولعل أهم تلك المصادر هو «فهرس الرسائل الجامعية التي نوقشت بفرنسا» والصادر سنة 2001 عن الوكالة الببليوغرافية للتعليم العالي، في قرص مدمج يوفر البيانات المخزنة في السجل المركزي الفرنسي الخاص بالرسائل والأطروحات الجامعية. إلا أن هذه الأداة الببليوغرافية الجامعة لا تتضمن أية إشارة إلى جنسية مؤلف الرسالة الجامعية، مما يصعب معه وضع ضبط دقيق لإنتاج الطلبة الباحثين المغاربة في الجامعات الفرنسية.

لكن تعدد المصادر المنشورة داخليا من طرف مؤسسات التعليم العالي أو الصادرة عن الخواص، وكذلك تلك المتداولة على المستوى الخارجي، لا يسمح، بحكم تضارب أساليب الفهرسة وعدم تجانس بياناتها، بتوفير مادة ببليوغرافية تستجيب لمعايير الوصف الببليوغرافي الدقيق، ومن ثم تكون كفيلة بإجراء دراسات ببليومترية وإنجاز مقارنات وتتبع دينامية البحث العلمي الجامعي المغربي سواء داخل المؤسسات الجامعية الوطنية أو الأجنبية.

3. قاعدة بيانات مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء

انطلاقا من الوضع المشار إليه، عمدت مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، إلى إعداد قاعدة بيانات ببليوغرافية خصصت لرصد أقصى ما يمكن من الرسائل والأطروحات التي أعدها الطلبة الباحثون المغاربة وناقشوها ونالوا بمقتضاها درجات جامعية، سواء داخل مؤسسات التعليم العالي بالمغرب أو خارجه. وقد استغرق إعداد هذه الأداة الببليوغرافية ثلاث سنوات (2005-2007). تمت العملية وفق خطة العمل الآتية :

- تجميع مختلف المصادر البيبليوغرافية، سواء منها تلك المتعلقة مباشرة بالرسائل الجامعية المغربية (داخل وخارج المغرب)، مثل فهارس وقوائم المؤسسات الجامعية، أو المصادر البيبليوغرافية الموضوعاتية التي ترصد بشكل غير مباشر وضمن قوائم عامة هذا الصنف من الإنتاج العلمي.
- استخدام قواعد البيانات الأجنبية، سواء منها تلك المتوفرة على شبكة الأنترنت أو المحمولة على أقراص مدمجة.
- مراسلة كل المؤسسات الجامعية المغربية وإقامة تواصل مباشر مع المسؤولين على وحدات التوثيق بها، بغية تحصيل أكبر قدر من المعلومات عن الرسائل والأطروحات الجامعية المنجزة بها.
- فحص جودة البيانات وتدقيقها، واستكمال المعلومات الناقصة، وتصحيح أسماء المؤلفين والمشرفين العلميين، وتواريخ إيداع ومناقشة الرسائل، وتحديد التخصصات مع ضمان التجانس والتناسق في الأسماء (المؤلفين، المؤطرين، المؤسسات الجامعية، الشهادة أو الدرجة الأكاديمية، لغة الرسالة، الخ.) والتحقق من الجنسية المغربية لمؤلف الرسالة.
- إسناد مهمة مراجعة مضامين قاعدة البيانات لفعاليات أكاديمية مغربية بغية الاستفادة من خبرتها في تنقيح المادة البيبليوغرافية، وتوفير الشروط الضامنة للحد الأدنى من الجودة والمصدقية التوثيقية.

في يناير 2008، أصدرت المؤسسة حصيلة هذا العمل في شكل قرص مزدوج اللغة (عربي/ فرنسي) قدمت فيه البيانات البيبليوغرافية على شكل قاعدة معلومات تسمح بإجراء أبحاث بيبليوغرافية بسيطة (بمفتاح واحد) أو مركبة (بعدها مفاتيح). كما تمنح المستعمل فرصة طبع نتائج أبحاثه أو الاحتفاظ بها بمثابة ملفات إلكترونية، مع عرض للمعلومات بصيغ مختلفة تستجيب لحاجات الباحث ولتطلبات المهنيين من مكاتب إعلاميين.

تتوزع بيانات كل تسجيلية إلى مجموعة حقول، هي : الاسم الكامل للمؤلف، الاسم الكامل للمؤلف، عنوان الرسالة أو الأطروحة، المدينة الجامعية، المؤسسة الجامعية، سنة مناقشة الرسالة، التخصص العلمي، الدرجة الجامعية، البلد، لغة الرسالة أو الأطروحة، جنس المؤلف.

4 . نظرة عامة على مكونات قاعدة البيانات

تحتوي هذه القاعدة على وصف ببليوغرافي مفصل لـ 9679 رسالة وأطروحة جامعية أنجزت داخل المغرب أو خارجه ما بين 1956 و2007، وتغطي مختلف الحقول المعرفية التي تندرج ضمن العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما تتوزع جغرافيا كالآتي :

• الرسائل المعدة في الجامعات المغربية : 7132 عنوان،

• الرسائل المعدة في الجامعات الفرنسية : 2321 عنوان،

• الرسائل المعدة في جامعات أخرى : 226 عنوان.

يتضح من خلال البيانات المقدمة في الجدول رقم 5 حول «تطور إنتاج رسائل وأطروحات المغاربة بالمغرب وفي الخارج» أن التقاطب مغرب-فرنسا الذي تحكم في مسار تكوين النخب الجامعية المغربية منذ الاستقلال، عرف ذروته خلال عقد الثمانينيات، ليتحول بعد ذلك لفائدة التكوين الوطني، حيث أن الرسائل والأطروحات المنجزة في الجامعات المغربية شكلت 95% من مجموع ما أعد من رسائل وأطروحات في السنوات الأخيرة (2000-2007).

بالموازاة مع مغربة التكوين الجامعي، يلاحظ أن التقاطب بين لغتي العمل الرئيسيتين، العربية (49.63%) والفرنسية (43.83%) لا يزال قائما على المستوى العام، اعتبارا لكون التكوين والبحث الجامعي يظل كليا أو جزئيا باللغة الفرنسية في مجموعة من التخصصات، مثل الاقتصاد وتدبير المقاولات، والجغرافيا والسوسيولوجيا-أنتروبولوجيا، العلوم السياسية، القانون، اللسانيات أو علوم الإعلام (جدول 1).

جدول 1 : رسائل وأطروحات المغربية موزعة حسب التخصصات / اللغات

التخصص	الرسائل باللغة العربية	الرسائل باللغة الفرنسية	الرسائل باللغة الإنجليزية	الرسائل باللغات الأخرى	المجموع
الدراسات الأدبية	1412	382	128	92	2014
القانون	906	818	1	2	1727
الاقتصاد	47	1291	12	1	1351
الدراسات الإسلامية	912	1			913
اللسانيات	246	375	177	61	859
التاريخ	489	206	6	17	718
الجغرافيا	232	458	4	2	696
علم الاجتماع - الأنثروبولوجيا	97	213	9	2	321
العلوم السياسية	108	203	1		312
التربية	106	66	7	7	186
الفلسفة	133	32	5	2	172
علم النفس	69	62		1	132
علوم الإعلام	47	78	1	6	132
الديموغرافيا	-	29			29
التهيئة الحضرية والهندسة المعمارية	-	15	3	2	20
الأركيولوجيا والفنون	-	14	1	1	16
تخصصات غير محددة	-	-	-	-	78
المجموع	4804	4243	355	196	9679

تتوزع الرسائل حسب الدرجات الجامعية كالآتي :

جدول 2 : توزيع رسائل وأطروحات المغاربة حسب اللغة والدرجة الجامعية

المجموع	اللغات الأخرى	الفرنسية	العربية	الدرجة الجامعية
1912	131	647	1134	دكتوراه الدولة وما يعادلها
5739	421	2541	2777	دكتوراه السلك الثالث وما يعادلها
2028	203	928	897	الدكتوراه الوطنية وما يعادلها
9679	755	4116	4808	المجموع

كما يتضح من خلال استخدام متغير «النوع الاجتماعي» في قراءة العينة التي بين أيدينا، أن الإناث لم ينجزن سوى 19,83% من مجموع الرسائل والأطروحات، وهو أمر يبدو مفارقا إذا استحضرننا التنامي المتواصل لأعداد الفتيات في مختلف شعب العلوم الإنسانية والاجتماعية بمختلف الجامعات المغربية؛ مما يدل على أن نسبة كبيرة من الطالبات يتوقفن عن الدراسة في نهاية الأسلاك الأولى، ولا يخضن مغامرة البحث الجامعي المتقدم. وهكذا تتضاءل نسبة الإناث بقدر ما تعلق قيمة الدرجة الجامعية : الدكتوراه الوطنية (26,87%) ؛ دكتوراه الدولة في النظام القديم (12,23%). وعلى الرغم من التقدم الذي حققه حضور الإناث في مجال التكوين-البحث خلال عقدي الثمانينيات (17,05%) والتسعينيات (22,04%)، فالواضح أن السنوات الأخيرة شهدت توقفا لهذا النمو، إذ لم تتجاوز نسبة الإناث 22,84% خلال الفترة الممتدة من 2000 إلى 2007.

**جدول 3 : التطور الزمني لأعداد رسائل وأطروحات المغاربة المنجزة
حسب النوع الاجتماعي**

الفترة الزمنية	الذكور	الإناث	النسبة- إناث	المجموع
قبل 1970	40	-	0.00 %	40
1971-1979	491	39	7.35 %	530
1980-1989	2366	468	17.05 %	2834
1990-1999	3078	870	22.04 %	3948
2000-2007	1723	510	22.84 %	2233
المجموع	7698 (%80.32)	1887 (%19.68)		9585

يبدو من خلال الجدول رقم 4، الذي يمزج متغيري اللغة والنوع الاجتماعي، أن الإناث أكثر إقبالا على استخدام اللغات الأجنبية (خصوصا الفرنسية) بنسبة 57.28%، بينما لا يستخدم الذكور اللغات الأجنبية في أبحاثهم الجامعية سوى بنسبة 49%.

جدول 4 : توزيع رسائل وأطروحات المغاربة حسب اللغات المستعملة والنوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	العربية	الفرنسية	اللغات الأخرى	المجموع	النسبة
الذكور	3998	3207	493	7698	80.17 %
الإناث	811	979	115	1905	19.83 %
المجموع	4809	4186	608	9603	100 %

كما تقبل الإناث على تخصصات محددة بنسبة تفوق متوسط حضورهن في الإحصائيات العامة حول إعداد الرسائل والأطروحات الجامعية (19.83%). يأتي على رأس تلك التخصصات الفنون والأركيولوجيا (62.50%) ؛ الديموغرافيا (38%) ؛ علم النفس (30.30%) ؛ اللسانيات (28%) ؛ علوم الإعلام (28%) ؛ الدراسات الأدبية (24.62%) ؛ علم الاجتماع والأنثروبولوجيا (23%) ؛ الاقتصاد (20.87%)، وهي في أغلبها تخصصات تفترض استخدام اللغات الأجنبية بصفة جزئية أو كلية. ويقل إقبال الإناث على تخصصات أخرى من قبيل التهيئة الحضرية والهندسة المعمارية (5%) ؛ الفلسفة (14%) ؛ القانون (14%) ؛ الدراسات الإسلامية (15%) أو الجغرافيا (15.60%).

5 . تطور إنتاج المغاربة من الرسائل والأطروحات الجامعية

عند فحص إنتاج المغاربة من الرسائل والأطروحات الجامعية خلال الخمسين سنة الأخيرة، في الحقول المعرفية التي تعيننا هنا (العلوم الاجتماعية والإنسانية). نلاحظ من خلال طبيعة هذا الإنتاج ووتيرته، أنه يتوزع عبر ثلاث مراحل زمنية، لكل واحدة منها خصائصها، وهي :

1.5. مرحلة التأسيس (1956-1979) : تمتد هذه المرحلة من أواسط الخمسينات مع نشأة الجامعة المغربية إلى متم عقد السبعينات من القرن العشرين. وتوفر لنا قاعدة البيانات عينة مكونة من 530 رسالة وأطروحة جامعية، أعد ثلثها في الجامعات الفرنسية، بينما يتوزع الباقي ما بين جامعة محمد الخامس-الرباط، التي حظيت بأكبر حصة، أي 348 عنوانا، جامعة الحسن الثاني-الدار البيضاء بـ17 عنوانا فقط، وأخيرا جامعة محمد بن عبد الله-فاس الحديثة النشأة بـ7 عناوين. وإذا كانت جامعة الدار البيضاء قد غلب عليها التوجه نحو العلوم الاقتصادية، فإن جامعة فاس بدت في هذه الفترة وكأنها تخصصت في البحث الأدبي. أما جامعة الرباط، وبحكم قدمها النسبي، فإنها تقدم لنا فهرا متنوعا إلى حد ما، رغم احتلال الدراسات القانونية (201 عنوانا) مكانة مركزية بين مختلف التخصصات المعتمدة في الجامعة خلال هذه الحقبة. مع ذلك، يبدو أن النواة الأولى من الأبحاث المتخصصة في حقول متنوعة مثل الدراسات الأدبية واللسانيات

والفلسفة والسوسيولوجيا والتاريخ والعلوم السياسية وعلم النفس، تشكلت بداية في جامعة محمد الخامس خلال هذه الحقبة. كما ساهمت دار الحديث الحسنية في إعداد مجموعة من الرسائل المؤسسة لحقل الدراسات الإسلامية بالمغرب (52 عنوانا).

لا جدال في أن نسبة عالية من الأساتذة الذين أطروا الأبحاث الجامعية المنجزة خلال هذه الفترة، تلقوا تكوينهم في الجامعات الفرنسية، بينما يلاحظ أن أعداد الباحثين المغاربة الذين تكونوا في جامعات المشرق العربي ظل محدودا طيلة الخمسين سنة الأخيرة. كما تدل على ذلك الإحصائيات المتعلقة بالبلدان التي درس بها الطلبة-الباحثون المغاربة. من ثم، يمكن القول إن تأسيس العلوم الإنسانية والاجتماعية في الجامعة المغربية كان إلى حد بعيد تحت تأثير المدرسة الفرنسية.

جدول 5 : تطور إنتاج رسائل وأطروحات المغاربة بالمغرب وفي الخارج

الفترة الزمنية	الرسائل والأطروحات المنجزة في الجامعات المغربية	الرسائل والأطروحات المنجزة في الجامعات الأجنبية	الجموع	متوسط الرسائل والأطروحات المنجزة سنويا
قبل 1970	27	13	40	
1971-1979	347	183	530	53.0
1980-1989	1409	1443	2852	285.20
1990-1999	3164	781	3948	394.80
2000-2007	2123	110	2233	279.12
رسائل غير مؤرخة	-	-	76	-
المجموع	7070 (73%)	2530 (27%)	9679	

2.5. مرحلة التوسع (1980-1989) : تقدم لنا قاعدة البيانات عن هذه الفترة عينة من الرسائل والأطروحات الجامعية تبلغ 2852 عنوانا. لكن الأهم من هذا أن عقد الثمانينات يشكل لحظة خاصة في تطور البحث والتكوين الجامعي، لعل من خصائصها ما يلي :

- اعتماد الدولة لسياسة البعثات الطلابية إلى الخارج بغية تسريع وتيرة تكوين الأطر الجديدة. يتجلى هذا في كون عدد الرسائل والأطروحات المعدة خارج المغرب (1443 عنوانا) فاق خلال هذا العقد عدد تلك المنجزة في الجامعات المغربية (1409 عنوانا).
 - تكريس حضور اللغات الأجنبية، خصوصا الفرنسية، في التكوين الجامعي والبحث العلمي، بحيث أن عدد الرسائل والأطروحات المعدة باللغة العربية لم يشكل سوى 28% (804 عنوانا). بينما كانت الرسائل المعدة باللغات الأجنبية داخل المغرب وخارجه تعادل نسبة 72% (2048 عنوانا).
 - تنوع الحقول المعرفية التي نالت اهتمام الطلاب المغاربة، على الرغم من كون التخصصات الكلاسيكية الثلاثة التي أطرت الدراسات الجامعية المغربية منذ التأسيس، أي القانون (625 عنوانا)، الاقتصاد (151 عنوانا)، والدراسات الأدبية (343 عنوانا)، مثلت لوحدها نسبة 55% مما أنجزه المغاربة من أبحاث خلال هذا العقد.
- 3.5. مرحلة المغرب والتعريب (1990-2007) :** إن فحصا سريعا لعينة الرسائل والأطروحات التي تقدمها لنا قاعدة البيانات المنجزة في هذه المرحلة الأخيرة، يسمح باستخلاص النتائج الآتية :
- الارتفاع المحسوس في وتيرة إنتاج الطلبة-الباحثين المغاربة، نظرا لكون هذه الفترة، مع قصرها (17 سنة)، تقدم 64% مما أنتج منذ نشأة الجامعة المغربية، أي 6178 عنوانا.
 - مغربة الإنتاج الجامعي : على العكس من عقد الثمانينيات، شهد عقد التسعينيات والسنوات التي تلتها (2000-2007) ارتفاعا مهما في أعداد الطلبة الباحثين المسجلين في الجامعات المغربية، التي تعددت هي الأخرى وامتدت خارج محور الرباط-الدار البيضاء. هذا ما تعكسه أرقام الإنتاج المحلي : 5287 عنوانا، أي 86% من مجموع الرسائل الجامعية التي أنجزت خلال هذه الفترة، مقابل 891 رسالة وأطروحة أعدها الطلاب المغاربة خارج المغرب (14%).

• انقلاب موازين قوى لغات العمل الأساسية : بالموازاة مع التوجه القوي نحو مغربة التكوين والبحث الجامعي، انقلبت موازين القوى اللسانية التي سادت في عقد الثمانينيات. هكذا أصبحت اللغة العربية أداة البحث الجامعي بنسبة 62% (3824 عنوانا)، بينما تراجع اللغات الأجنبية، خصوصا الفرنسية، من 72% كما كان الأمر في الثمانينيات إلى 38% (2354 عنوانا).

• تصاعد الاهتمام بالدراسات الإسلامية : إلى جانب المغربة والتعريب، يلاحظ من خلال العينة المذكورة، تنامي أعداد الرسائل الجامعية في حقل الدراسات الإسلامية، التي انتقلت من تخصص هامشي كما كان الحال في الثمانينيات (73 عنوانا) إلى حقل معرفي رئيسي (786 عنوانا) ينافس الدراسات الأدبية (1539 عنوانا) والدراسات القانونية (855 عنوانا)، ويتجاوز الأبحاث الاقتصادية (718 عنوانا).

• النمو المعاق للعلوم الاجتماعية : إذا كان عقد الثمانينيات قد شهد بروز حقول تخصصية جديدة في الوسط الجامعي المغربي بفضل سياسات البعثات العلمية للخارج، حيث ظهرت رسائل وأطروحات في الجغرافيا والدراسات العمرانية والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، وتزايد أعداد الأبحاث في العلوم السياسية والفلسفة وعلم النفس إلى جانب علوم الآثار وتاريخ الفن، فإن هذه التخصصات الجديدة عرفت نوعا من تعثر النشأة إثر تحول التكوين الجامعي نحو المغربة والتعريب. يتجلى ذلك من خلال بطء النمو الذي عرفته تلك الحقول المعرفية بالنظر إلى أعداد الرسائل والأطروحات الجامعية المغربية التي أنجزت ضمنها على امتداد السبع عشرة سنة الأخيرة : الجغرافيا (397) ؛ السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا (144) ؛ العلوم السياسية (140) ؛ علوم التربية (124) ؛ الفلسفة (120) ؛ علم النفس (63)، بينما كادت تختفي الأبحاث في تاريخ الفن وعلم الآثار.

6. مواطن تكوين النخب الجامعية المغربية

تسمح قاعدة البيانات بتسليط الضوء على موضوع التوزيع الجغرافي للمؤسسات الجامعية التي تكونت فيها النخب العلمية المغربية خلال الخمسين سنة الأخيرة. هكذا، فإن استخدام مفتاح بلد المؤسسة الجامعية التي أنجزت بها الرسالة أو الأطروحة، يضعنا أمام التوزيع الآتي :

جدول 6 : رسائل وأطروحات المغاربة موزعة حسب البلد الذي أعدت فيه

النسبة المئوية	عدد الرسائل والأطروحات	البلد
73.68	7132	المغرب
24.00	2321	فرنسا
1.47	144	البلدان الأوربية الأخرى
0.59	58	الولايات المتحدة الأمريكية وكندا
0.09	9	البلدان العربية
0.03	1	البلدان الإفريقية
0.14	14	بلد المناقشة غير محدد
100	9679	المجموع

يقدم لنا الجدول رقم 6 صورة عامة تبين أن 73.68%، من الرسائل والأطروحات الجامعية للطلبة الباحثين المغاربة تنجز داخل الجامعات المغربية. وعلى الرغم من النقص الذي يشوب معرفتنا الحالية بما أنجز وينجز من رسائل جامعية خارج القطب المغرب-فرنسا (97.68% من مجموع العينة) نظرا لندرة المعلومات المتوفرة بهذا الخصوص، فإن المعطيات التي بين أيدينا لها دلالة فعلية، وتسمح باستخلاص التوجهات الكبرى الآتية :

- شكلت الجامعات الفرنسية الفضاء الأكاديمي الخارجي الرئيسي لتكوين النخب العلمية المغربية، خصوصا في مرحلة تأسيس الجامعة المغربية (الستينات والسبعينات) ثم في عقد الثمانينات الذي شهد تكثيف سياسة البعثات الطلابية إلى الجامعات الفرنسية. لكن، ومنذ مطلع التسعينيات، بدأ دور الجامعة الفرنسية يتراجع لفائدة تكوين محلي.
- لا تلعب البلدان الانجلوسكسونية (الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا على وجه الخصوص) سوى دور هامشي جدا في تكوين الطلبة الباحثين المغاربة الذين يشتغلون في حقول العلوم الإنسانية والاجتماعية.

• ليس هناك أي تلازم بين التوجه نحو تعريب التكوين والبحث العلمي في الحقول التي تعيننا وإقبال الطلبة المغاربة على الدراسة في الجامعات العربية. هذا ما يتضح من خلال قلة الرسائل الجامعية المنجزة في جامعات المشرق العربي.

• لا يكاد يوجد، بالاستناد إلى المعطيات المتوفرة بقاعدة البيانات، أي تأثير للجامعات الإفريقية في تكوين الطلبة الباحثين المغاربة.

أما على المستوى الداخلي، فيلاحظ تمركز كبير لوظائف تكوين الباحثين، حيث أن أربع مؤسسات جامعية موزعة بين ثلاث مدن (الرباط والدار البيضاء وفاس) تستحوذ على 74% من الإنتاج المحلي من الرسائل والأطروحات. وذلك ما يوضحه الجدول أسفله :

جدول 7 : توزيع الرسائل والأطروحات المعدة محليا حسب المؤسسات الجامعية

النسبة المئوية	عدد الرسائل والأطروحات	المؤسسة الجامعية
34.16	2437	كلية الآداب (الرباط)
17.83	1272	كلية العلوم القانونية والاقتصادية (الرباط)
12.00	861	كلية العلوم القانونية والاقتصادية (الدار البيضاء)
10.00	713	كلية الآداب ظهر المهرز (فاس)
26.01	1849	باقي المؤسسات الجامعية المغربية
100	7132	المجموع

7. أنماط البحث-التكوين : حالة « الدراسات الإسلامية »

عند فحص دينامية مختلف التخصصات العلمية داخل الجامعة المغربية من خلال تتبع وتيرة إنتاج الرسائل والأطروحات الجامعية، تشد انتباه الملاحظ العناصر الثلاثة الآتية :

- الحضور المتواصل لثلاثة تخصصات منذ نشأة الجامعة المغربية، باعتبارها صارت تقاليد أكاديمية راسخة، وهي : الدراسات الأدبية، القانون والاقتصاد.
- تعثر باقي التخصصات العلمية الأخرى بدرجات متفاوتة حيث ظل بعضها هامشيا (علم الآثار، تاريخ الفن والديموغرافيا)، بينما يتضاءل حضور بعضها الآخر (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع والعلوم السياسية، الجغرافيا والتاريخ).
- الاستثناء الذي تشكله الدراسات الإسلامية منذ أن أصبحت تخصصا علميا يدرس في كليات الآداب والعلوم الإنسانية، حيث عرفت دينامية خاصة جعلتها تحتل المرتبة الثالثة من حيث عدد الرسائل والأطروحات المنجزة داخل المغرب (785 عنوانا) في الفترة الممتدة ما بين 1990 و2000، وراء كل من الدراسات الأدبية (1458 عنوانا) والدراسات القانونية (791 عنوانا).

جدول 8 : ثلاثة نماذج للإشراف العلمي

الدراسات الإسلامية	الفلسفة	الاقتصاد	مجالات البحث / المعطيات
محمد روكي	محمد سبيلا	فتح الله ولعلو	إسم الأستاذ المشرف
1994	1990	1974	تاريخ مناقشة أول رسالة جامعية بإشرافه
2007	2007	2005	تاريخ مناقشة آخر رسالة جامعية بإشرافه
العربية	العربية	الفرنسية	لغة العمل الرئيسية
13 سنة	17 سنة	31 سنة	خبرة التأطير العلمي بالسنوات
55	22	49	عدد الطلبة المؤطرين
55	26	51	عدد الرسائل والأطروحات المنجزة
4.23	1.52	1.64	معدل الرسائل المؤطرة سنويا
11	122	186	عدد الإصدارات العلمية المنجزة من طرف الطلبة بعد حصولهم على الدكتوراه
(من بينها كتابين)	(من بينها 51 كتابا)	(من بينها 40 كتابا)	معدل إصدارات الطلبة
0.20	5.54	3.79	عدد الطلبة بدون إصدارات
48 (87.27%)	11 (50%)	25 (51%)	

من ثم، يمكن اعتبار تخصص الدراسات الإسلامية نوعا من العلامة البارزة المميزة للمرحلة الأخيرة من تطور الإنتاج المغربي من الرسائل والأطروحات الجامعية، والتي وصفناها بمرحلة مغربة وتعريب التكوين والبحث الجامعي الوطني، وهو تخصص يتميز بما يلي :

- تخصص حديث العهد، حيث أن جل الرسائل والأطروحات المرتبطة بمجال الدراسات الإسلامية أنجزت بعد سنة 1990.
- حقل معرفي محلي، حيث أن مجموع الرسائل والأطروحات، باستثناء واحدة، أنجزت في كليات الآداب بالمغرب.
- تخصص لا يعتمد لغة أخرى غير العربية، مع ما يواكب هذا من اختيارات بيداغوجية ومنهجية وإبيستمولوجية. هكذا فإن أعمال تحقيق التراث المخطوط (150 رسالة)، مثلا، تشكل نسبة 16.42% من مجموع الأبحاث المنجزة.
- الجهد الاستثنائي الذي يبذله المؤطرون العلميون للإشراف على أكبر عدد ممكن من الرسائل والأطروحات، حيث نلاحظ من خلال الجدول رقم 8 أن أستاذ الدراسات الإسلامية يشرف على ثلاثة أضعاف عدد الأبحاث التي يوطرها زملاؤه في شعبي الاقتصاد والفلسفة مثلا.
- تخصص موجه لنيل الدرجات الجامعية بالأساس، حيث أن معدل نشر خريجي الشعبة يعد ضعيفا جدا 0.20% (جدول 8) بالمقارنة مع خريجي الشعب الأخرى⁴. هكذا، فإن نسبة الحاصلين على الدكتوراه «تخصص دراسات إسلامية»، والذين لم ينشروا ولو مقالة واحدة، تتجاوز 87%، بينما تتراوح هذه النسبة بين 51% في العلوم الاقتصادية و50% في الفلسفة.

إحالات ببليوغرافية

1. انظر القرص المدمج الصادر عن وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي (باللغة الفرنسية) في يونيو 2009، تحت عنوان اللقاء الوطني حول تقديم نتائج الدراسة التقييمية للبحث في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية بالمغرب. يضم القرص تقريرين هما : تقرير عن نتائج البحث النوعي الذي أجري حول عينة من 1643 أستاذ جامعي ؛ والتقرير حول نتائج البحث الببليومتري الذي يقدم قراءة للإحصائيات المتصلة بإصدارات الأساتذة الجامعيين. كما يتضمن القرص تقارير لباحثين يعرضون فيها رؤيتهم وتحليلهم الشخصي لحقول معرفية محددة.
2. يتعلق الأمر بالفهرس الإلكتروني المحمول على قرص مدمج، الذي أعدته ونشرته مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية تحت عنوان : رسائل جامعية، الدار البيضاء، 2007.
3. ذلك ما يهدف إلى تحقيقه برنامج «توبقال» الذي يعده المعهد المغربي للإعلام العلمي والتقني (IMIST) التابع للمركز الوطني للبحث العلمي والتقني، ويتمثل في إحداه فهرس وطني للرسائل والأطروحات مع ضمان الأرشفة الإلكترونية للنصوص.
4. لإنجاز هذه المقارنة، استخرجنا قائمة الطلبة الباحثين في التخصصات الثلاثة (الاقتصاد، الفلسفة والدراسات الإسلامية) وبحثنا في قواعد البيانات الوطنية (كتب، مقالات، مساهمات في ندوات علمية) عن إنتاجهم العلمي قبل وبعد الرسالة.

مصادر ببليوغرافية

- فهرس الأطروحات والرسائل التي نوقشت في الكليات والمعاهد والمدارس العليا المغربية منذ تأسيس الجامعة إلى سنة 1984، الرباط : الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 1987، 374 ص.
- أفا، عمر، دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب 1961-1994، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.
- أفا، عمر، دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، ملحق 1995، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1996.
- أفا، عمر، دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، ملحق 1996، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1998، 176 ص.
- أفا، عمر، دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، ملحق 1997، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2000، 184 ص.
- أفا، عمر، دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المسجلة بكليات الآداب بالمغرب، 1998-2003، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2006، 342 ص.
- دليل الأطروحات والرسائل الجامعية المناقشة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 1964-2007، الرباط : منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2008.
- *Le catalogue des thèses soutenues dans les universités françaises*, CD-Rom, Edition 2001, Ministère de la recherche et de l'enseignement, Agence bibliographique de l'enseignement supérieur.

- Le CD-Rom, Faculté des lettres et des sciences humaines de Ben M'sik-Casablanca, Unité de formations et de recherches sur les théories de la lecture et de ses méthodes, 1997.
- *Le monde arabe et musulman au miroir de l'université française* : répertoire des thèses soutenues dans les universités françaises, en sciences de l'homme et de la société, sur le monde arabe et musulman, 1973-1987, 2 vol., Aix-en-Provence : Editions de l'IREMAM, 1989-1991, p. 186-198.
- CHAFI, Mohamed, *Un Siècle de recherche sur le Maroc : répertoire des mémoires et thèses soutenus sur le Maroc en France de 1900 à 1991*, Marrakech : Publications universitaires du Maghreb, 1991.
- *2000 thèses sur le Maghreb soutenues dans les universités françaises entre 1968 et 1994*, Centre d'études et de recherches sur l'urbanisation du monde arabe, Tours, Editions de l'URBAMA, 1994.
- HADJ ALI, Djamel, *Répertoires des thèses et mémoires concernant l'Algérie disponibles à Oran*, Oran : Centre de documentation des sciences humaines, 1981.
- BRULE, Jean Claude, SIGNOLE, Pierre, « *Liste des thèses de géographie soutenues en France sur le Maroc* », in *Revue de géographie du Maroc*, n°1-2, 1986, p. 271-285.
- QUILES, Jacqueline, BURGAT, Marie, BRUCHET, Danièle, BIANQUIS, Marie-José, *Le monde arabe et musulman au miroir de l'université française : répertoire des thèses soutenues dans les universités françaises, en sciences de l'homme et de la société, sur le monde arabe et musulman, 1973-1987*, Aix-en-Provence : Editions de l'IREMAM, 1989-1991.
- *Répertoire des thèses et mémoires soutenus à l'Université d'Alger, 1962-1982* : droit, sciences économiques et politiques, Centre de recherche et d'information documentaires en sciences sociales et humaines, Oran.
- MILIANI, Hadj, *Répertoire des thèses et mémoires sur la littérature maghrébine de langue française soutenues dans les universités algériennes et françaises de 1962 à 1982*, Oran : Centre de recherche et d'information documentaire en sciences sociales et humaines, 1984.
- *Répertoire national des thèses en agronomie et sciences connexes*, Chéraga : Ministère de l'agriculture, Centre national de documentation agricole, 1992.
- *Répertoire des mémoires du 3e cycle soutenus à l'I.N.S.E.A., 1976-1997*, Rabat : Institut national de statistiques et d'économie appliquée, 1998.